

حياة أعظم الرسل

إيذاء المصطفى ﷺ

إِذَا الْمُصْطَفَى ﷺ

إِذَا قَرَأْنَا كُتُبَ التَّارِيخِ وَجَدْنَا أَنَّ
النَّاسَ لَا يُرَحِّبُونَ بِأَيِّ إِصْلَاحَاتٍ
جَدِيدَةٍ ، تُخَالِفُ عَادَاتِهِمُ الَّتِي أَخَذُوهَا
عَنْ آبَائِهِمُ السَّابِقِينَ . فَهُمْ دَائِمًا
يُعَارِضُونَ كُلَّ جَدِيدٍ وَيَقُولُونَ : هَذَا
مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا ، وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ
لَا يَفْهَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ .

وَهَذَا يَا بُنَيَّ مَا حَدَّثَ تَمَامًا لِرَسُولِ

اللَّهِ حِينَمَا بَدَأَ يَدْعُو النَّاسَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ

وَحَدَهُ ، وَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ
وَالْحِجَارَةِ . فَقَدْ عَارَضَهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ
الْأَصْنَامَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَشَدَّ الْمُعَارَضَةِ ،
وَأَذَوْهُ مَعَ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا . وَلَمْ
يَنْجُ الرَّسُولُ مِنْ إِيْدَائِهِمْ وَقَسَوَتِهِمْ ؛
فَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ يُصَلِّي فِي الْكُعْبَةِ ،
فَأَحْضَرُوا شَاةً مَذْبُوحَةً ، وَرَمَوْا قَذَارَتَهَا
فَوْقَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَعَلِمَتْ فَاطِمَةُ ابْنَتُهُ ،
فَجَاءَتْ وَأَزَالَتْ هَذِهِ الْقَذَارَةَ ، وَنَظَّفَتْ
مَكَانَهَا .

وَكَانَ إِذَا مَرَّ بِهِمْ فِي الطَّرِيقِ شَتَمُوهُ



صُورَةُ أَصْنَامٍ كَانَ الْكُفَّارُ يَعْبُدُونَهَا .

بِكَلِمَاتٍ قَبِيحَةٍ ، وَقَدْ حَدَّثَ أَنْ اجْتَمَعَ
 الْكُفَّارُ يَوْمًا فِي فِنَاءِ الْكَعْبَةِ ، وَانْتَظَرُوا
 حَتَّى حَضَرَ الرَّسُولُ لِيُصَلِّيَ ، فَهَجَمُوا
 كُلَّهُمْ عَلَيْهِ ، وَضَرَبُوهُ ضَرْبًا شَدِيدًا ،
 وَوَقَفُوا حَوْلَهُ ، وَقَالُوا لَهُ : هَلْ أَنْتَ الَّذِي
 قُلْتَ عَنِ آلِهَتِنَا إِنَّهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ،
 وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ ؟ فَقَالَ لَهُمْ : نَعَمْ ،
 أَنَا . فَشَدَّ أَحَدُهُمْ رِذَاءً (ثَوْبَ)
 الرَّسُولِ ، وَرَبَطَهُ حَوْلَ رَقَبَتِهِ ، وَأَرَادَ أَنْ
 يَخْنُقَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ عَمَّهُ حَمَزَةٌ هُنَاكَ
 لِلدِّفَاعِ عَنْهُ وَلِحُسْنِ الْحِظِّ كَانَ أَبُو بَكْرٍ

الصَّدِيقُ قَرِيباً ، فَسَمِعَ صُرَاخَ بَعْضِ
الْحَاضِرِينَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَحَضَرَ مُسْرِعاً
وَمَعَهُ أَقَارِبُهُ ، وَأَنْقَذُوهُ مِنْ أَيْدِي
الْمُجْرِمِينَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ يَبْكِي :
أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا لِأَنَّهُ يَقُولُ : اللَّهُ رَبِّي ؟

وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ الرَّسُولُ سَاجِدًا
يُصَلِّي ، فَجَاءَ أَحَدُ الْكُفَّارِ ، وَوَضَعَ قَدَمَهُ
عَلَى رَقَبَتِهِ مُدَّةً طَوِيلَةً ، حَتَّى جَاءَ أَحَدُ
الْمُسْلِمِينَ ، وَأَبْعَدَهُ عَنْهُ ، وَنَجَّاهُ مِنَ
الْكَافِرِ الظَّالِمِ .

أَبُو جَهْلٍ يَشْتِمُ الرَّسُولَ :

وَفِي يَوْمٍ مَرَّ أَبُو جَهْلٍ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي
مَكَّةَ ، فَشَتَمَهُ ، وَأَخَذَ يَسُبُّ الْإِسْلَامَ .
فَصَبَرَ الرَّسُولُ ، وَلَمْ يُكَلِّمْهُ ، وَلَمْ
يَشْتِمْهُ . وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ سَمِعَتْ فَتَاةٌ
شَتَمَ أَبِي جَهْلٍ لِلرَّسُولِ الْكَامِلِ . وَرَأَتْ
الْمُصْطَفَى يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ صَابِرًا ، تَارِكًا
أَمْرَهُ لِلَّهِ .

عَمُّهُ حَمْزَةُ يَنْتَقِمُ لَهُ مِنْ أَبِي جَهْلٍ :

وَبَعْدَ قَلِيلٍ مَرَّ عَمُّهُ حَمْزَةُ بِالْفَتَاةِ
فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا عِمَارَةَ ، لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَهُ

ابنُ أَخِيكَ مُحَمَّدٌ مِنْ أَبِي جَهْلٍ لَتَأْلُمْتَ
لَهُ ، وَقَصَّتْ عَلَيْهِ مَارَاتَهُ . فَتَأْلَمَ حَمْزَةُ
كُلَّ اللَّأْلَمِ ، وَأَسْرَعَ وَبَحَثَ عَنْ أَبِي
جَهْلٍ ، فَوَجَدَهُ جَالِسًا مَعَ الْكُفَّارِ ،
فَذَهَبَ جِهَتَهُ ، وَرَفَعَ قَوْسَهُ ، وَضَرَبَهُ
بِهَا ، فَجَرَحَهُ جُرْحًا مُؤْلِمًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
كَيْفَ تَشْتِمُ مُحَمَّدًا ؟ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِدِينِ
مُحَمَّدٍ ، وَأَقُولُ مَا يَقُولُ . فَمَاذَا تُرِيدُ ؟
فَقَامَ الْكُفَّارُ لِيُدَافِعُوا عَنْ أَبِي جَهْلٍ ،
وَقَالُوا : هَلْ أَسْلَمْتَ يَا حَمْزَةُ ؟ فَقَالَ
حَمْزَةُ : وَمَنِ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَنِي

عَنِ الْإِسْلَامِ ؟ وَقَدْ ظَهَرَ لِي تَمَاماً أَنَّ
 مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ
 حَقٍّ ، وَأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ . فَقَالَ
 أَبُو جَهْلٍ : أَتُرْكُوا أَبَا عِمَارَةَ ؛ فَإِنِّي وَاللَّهِ
 قَدْ سَبَبْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحاً ، وَشَتَمْتُهُ
 كَثِيراً ، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ بِكَلِمَةٍ .

وَتَبَّتْ حَمْزَةُ عَلَى إِسْلَامِهِ ، فَعَرَفَتْ
 قُرَيْشٌ أَنَّ الرَّسُولَ قَدْ قَوِيَ بِإِسْلَامِ عَمِّهِ
 حَمْزَةَ ، وَأَنَّ حَمْزَةَ سَيُدَافِعُ عَنْهُ
 وَسَيَحْمِيهِ .

وَفِي الصَّبَاحِ ذَهَبَ حَمْزَةُ إِلَى

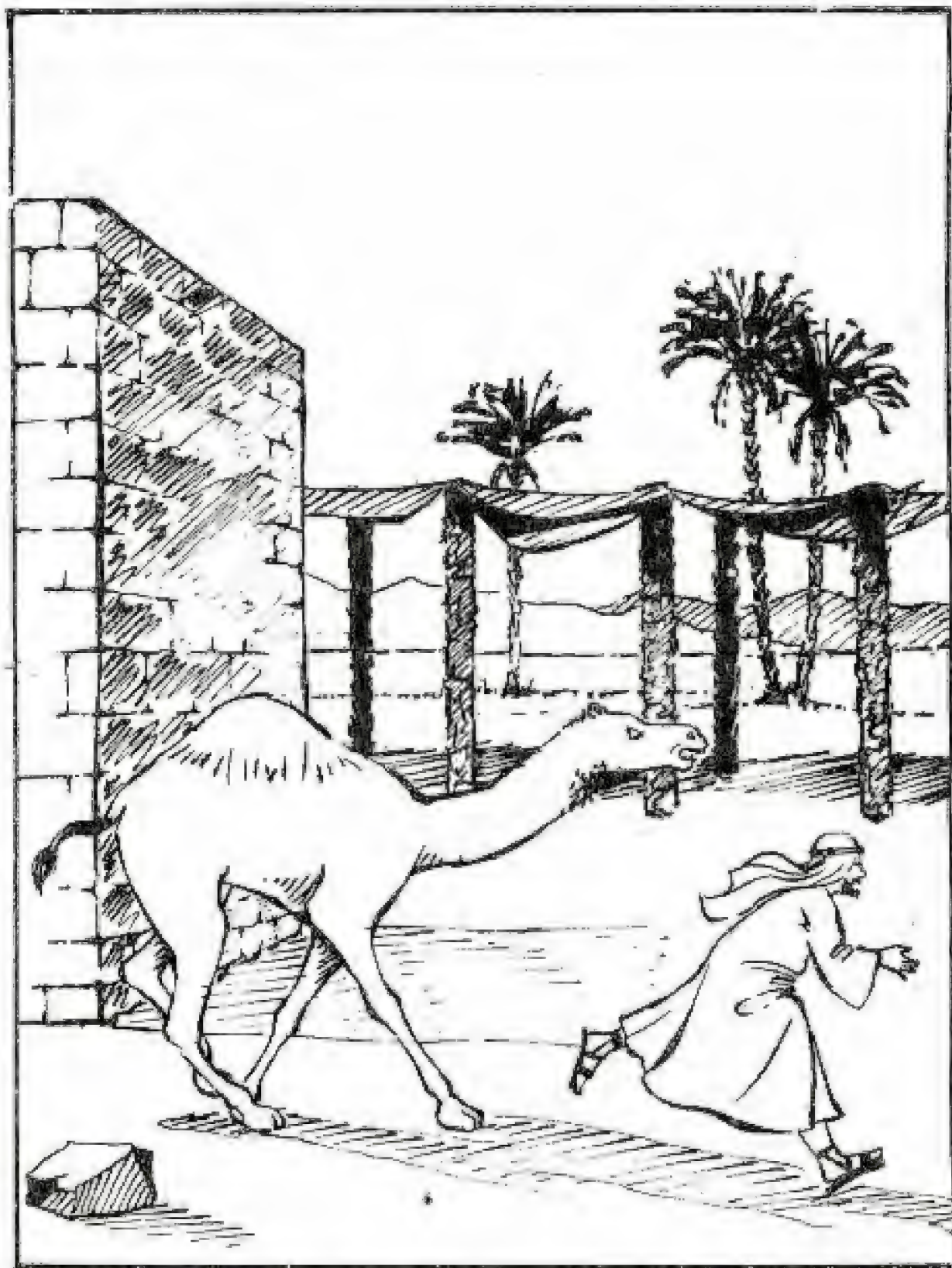
الرَّسُولِ ، وَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . وَقَالَ :
أَظْهَرُ دِينِكَ يَا ابْنَ أَخِي ، وَلَا تُبَالِ .

أَبُو جَهْلٍ يُرِيدُ قَتْلَ الرَّسُولِ :

وَذَاتَ يَوْمٍ تَعَهَّدَ أَبُو جَهْلٍ لِلْكَفَّارِ
بِقَتْلِ الرَّسُولِ ، وَقَالَ لَهُمْ : غَدًا سَأُحْضِرُ
حَجَرًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَحْمِلَهُ .
وَسَأَنْتَظِرُهُ فِي الْكَعْبَةِ ، فَإِذَا سَجَدَ فِي
الصَّلَاةِ كَسَرْتُ بِهِ رَأْسَهُ . وَلَتُصْنَعَنَّ بَعْدَ
ذَلِكَ أَسْرَتُهُ مَا تُرِيدُ .

قَالَ الْكَفَّارُ : افْعَلْ مَا تُحِبُّ ، وَسِرْ فِي
طَرِيقِكَ ، حَتَّى نَتَخَلَّصَ مِنْهُ . وَفِي

الصَّبَاحِ أَخَذَ أَبُو جَهْلٍ الْحَجَرَ ، وَجَلَسَ
يَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ ، وَجَلَسَتْ قُرَيْشٌ تَنْتَظِرُ
مَا يَفْعَلُهُ أَبُو جَهْلٍ . فَلَمَّا سَجَدَ الرَّسُولُ
حَمَلَ أَبُو جَهْلٍ الْحَجَرَ الثَّقِيلَ ، وَأَرَادَ أَنْ
يَرْمِيَهُ فَوْقَ رَأْسِهِ لِيَقْتُلَهُ . وَفَجَاءَ رَجَعَ
يَجْرِي خَائِفًا مُضْطَرِبًا اضْطِرَابًا شَدِيدًا .
فَقَالُوا لَهُ : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ :
وَقَفَّ بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ جَمَلٌ هَائِجٌ
كَالْوَحْشِ الْمُفْتَرِسِ ، لَمْ أَرِ مِثْلَهُ مِنْ
قَبْلُ ، وَلَمْ أَرِ كَأَنْيَابِهِ ، وَقَدْ هَجَمَ عَلَيَّ
وَأَرَادَ أَنْ يَأْكُلَنِي . فَجَرَيْتُ وَهَرَبْتُ خَوْفًا
مِنْهُ .



أَبُو جَهْلٍ يَجْرِي مِنَ الْخَوْفِ هَرَبًا .

إِذَاءُ الرَّسُولِ بِالطَّائِفِ :

لَقَدْ نَصَحَ لَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بِالذَّهَابِ إِلَى
الطَّائِفِ ؛ لِيَنْشُرَ رِسَالَتَهُ وَمَبَادِئَهُ هُنَاكَ ،
وَيَتَخَلَّصَ مِنْ إِذَاءِ الْكُفَّارِ فِي مَكَّةَ .
وَاعْتَقَدَ الرَّسُولُ أَنَّهُ سَيَجِدُ فِي الطَّائِفِ مَنْ
يُكْرِمُهُ ، وَيَتَّبِعُ مَا جَاءَ بِهِ . فَذَهَبَ مَا شِئًا
لِيُدَافِعَ عَنِ الْعَبِيدِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ،
وَيُقَدِّمَ نَفْسَهُ لِأَصْدِقَاءِ عَمِّهِ هُنَاكَ . وَقَدْ
أَخَذَ مَعَهُ فِي رِحْلَتِهِ فَتَاهُ الْأَمِينُ زَيْدَ بْنَ
حَارِثَةَ . وَكَانَتْ الرُّحْلَةُ طَوِيلَةً وَمُتْعِبَةً .

وَأَخِيرًا وَصَلَ مُحَمَّدٌ وَزَيْدٌ إِلَى
الطَّائِفِ ، وَسَمِعَ الْأَغْنِيَاءُ بِوُصُولِ
مُحَمَّدٍ ، فَلَمْ يَهْتَمُّوا بِهِ أَوْ بِدَعْوَتِهِ ؛ لِأَنَّهُ
كَانَ يَدْعُو إِلَى تَحْرِيمِ الرِّبَا وَالْخَمْرِ ،
وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ . وَكَيْفَ يَحْصُلُونَ عَلَى
الثَّرْوَةِ إِذَا حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الرِّبَا ؟ وَمَاذَا
يَفْعَلُونَ بِالْخُمُورِ الَّتِي يُنتِجُونَهَا مِنْ
الْعِنَبِ ، وَالْخَنَازِيرِ الَّتِي تَرَعَى فِي مَرَاغِي
الطَّائِفِ ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ حَقٌّ مَعْلُومٌ لَهُمْ فِي أَمْوَالِ
الْأَغْنِيَاءِ ؟ وَكَيْفَ يَتَسَاوَى الْعَبِيدُ وَالْعُمَّالُ

مَعَ السَّادَةِ وَأَصْحَابِ الْأَمْوَالِ ؟
وَصَلَ مُحَمَّدٌ إِلَى الطَّائِفِ ، وَكَانَتْ
عِنْدَهُ آمَالٌ ، وَلَكِنْ كَيْفَ تَتَحَقَّقُ آمَالُهُ
إِذَا عَلِمَ الْأَغْنِيَاءُ أَنَّهُمْ سَيَتَسَاوَوْنَ مَعَ
عَبِيدِهِمْ ، وَسَتَنْقُصُ أَمْوَالُهُمْ بِمَا يُؤْخَذُ
مِنْهَا لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَلَنْ يَكُونَ
لَهُمُ الرِّيَاسَةُ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَالْعُمَّالِ إِذَا
أَسْلَمُوا ؟ فَلَمْ يَهْتَمُّوا بِمُحَمَّدٍ ، وَرَفَضُوا
مَبَادِئَهُ ، وَهَزَبُوا بِهِ ، وَأَمَرُوا عَبِيدَهُمْ
وَعُمَّالَهُمُ الَّذِينَ جَاءَ الرَّسُولُ لِيُدَافِعَ عَنْهُمْ
وَيُطَالِبَ بِحُقُوقِهِمْ — أَنْ يُؤْذَوْهُ ، فَكَانُوا

يَمْشُونَ وَرَاءَهُ ، وَيَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ ،
حَتَّى سَالَ دَمُهُ ، وَجُرِحَتْ قَدَمَاهُ .

تَأَثَّرَ النَّبِيُّ كُلُّ التَّأَثَّرِ ؛ لِلْمُعَامَلَةِ
الْقَاسِيَةِ الَّتِي عَامَلَهُ بِهَا أَهْلُ الطَّائِفِ . وَمَعَ
كُلِّ هَذَا أَخَذَ يَدْعُو اللَّهَ وَيَقُولُ مَا مَعْنَاهُ :

يَا إِلَهِي ، إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ،
وَهَوَانِي (إِحْتِقَارِي) فِي أَعْيُنِ النَّاسِ ،
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . أَنْتَ رَبُّ
الْمُسْتَضْعِفِينَ (الضُّعَفَاءِ) . إِلَى أَنْ
قَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ » .

وَبَعْدَ أَنْ دَعَا اللَّهَ ، إَزْدَادَ صَبْرًا عَلَى
صَبْرِهِ ، وَصَمَّمَ عَلَى أَنْ يَسْتَمِرَّ فِي دَعْوَتِهِ
لِهِدَايَةِ الْعَالَمِ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ،
وَالَّذِينَ الْكَامِلِ .

فَاجْعَلْ يَا بَنِي قِصَّةِ الرَّسُولِ الْعَظِيمِ
قُدُورَةً أَوْ مِثْلًا لَكَ ، تَتَّبِعُهُ وَتَسِيرُ عَلَيْهِ فِي
حَيَاتِكَ . وَلَا تَيْأَسْ حِينَمَا تَجِدُ
الصُّعُوبَاتِ فِي طَرِيقِكَ . وَحَافِظْ عَلَى
الْمُثُلِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعُلْيَا . وَاجْتَهِدْ وَاصْبِرْ
حَتَّى تَصِلَ إِلَى الْغَرَضِ الَّذِي تَقْصِدُهُ .
وَتَأْكُدْ أَنَّكَ سَتَنْجَحُ فِي النِّهَايَةِ كَمَا نَجَحَ
الرَّسُولُ فِي أَدَاءِ رِسَالَتِهِ .